الفصل الخامس

طبيعة مستوطنات جوش إمونيم

من منظور الأصولية اليهودية، يجب أن ينظر إلى المستوطنات من ثلاث زوايا: وقوفها كقلاع للأيديولوچية المسيانية، وتأثيرها الراهن والمحتمل على المجتمع الإسرائيلى، ودورها المرتقب كنواة للمجتمع الإسرائيلى الذى يرغب الزعماء المسيانيون فى بنائه.

وهذه المناقشة يجب أن يسبقها تعليقان مرتبطان بالمستوطنات كما يراها المجتمع الإسرائيلى: التعليق الأول يتمثل فى أن الغالبية العظمى من المواطنين الإسرائيليين، الممثلة فى أعضاء الكنيست، تفضل احتفاظ إسرائيل بكل المستوطنات، ففى بداية عام ١٩٩٩م، أيد على الأقل ١٠٠ عضو من بين أعضاء الكنيست البالغين ١٢٠ عضو بمن فيهم كل أعضاء حزب العمل، هذا الموقف حتى على الرغم من وجود فروق ضئيلة بينهم تتعلق بشكل هذا الاحتفاظ، ويعارض كل أعضاء الكنيست العرب الاحتفاظ بالمستوطنات، وعلى ذلك فإن نسبة أعضاء الكنيست اليهود الذين يؤيدون ذلك أعلى مما تشير الأرقام، ومع ذلك ففى المجتمع اليهودى الإسرائيلى، لا يزال هناك خلاف شعبى حاد فى وجهات النظر حول موضوع المستوطنات، ومازالت بعض الجماعات اليسارية الصغيرة تعارض كل المستوطنات. والأمر الأكثر أهمية هو أن معظم اليهود الإسرائيليين يعتبرون أنه من الطبيعى أن يعيش اليهود فى بعض المستوطنات.. ولكن ليس طبيعيّا أن يعيشوا فى مستوطنات الآخرين.

وهذا الفرق عادة غير معروف خارج إسرائيل، وخاصة فى العالم العربى.

إن الغالبية العظمى من اليهود الإسرائيليين التى تعيش فى مستوطنات فى منطقة «القدس الكبرى» تعتبر أمرًا عاديًا، و«القدس الكبرى» عبارة عن مصطلح إسرائيلى حضرى اجتماعى، لا يقتصر فى معناه على الخط الأخضر أو الحدود البلدية لمدينة القدس، كما وضعت أثناء احتلالها عام ١٩٦٧م، فالمعيشة فى «القدس الكبرى» تعنى المعيشة فى مكان به خطوط مواصلات كافية لليهود للسفر إلى القدس للتسوق أو لقضاء الأمسيات والعودة إلى المنزل عند انتصاف الليل.

وفى مطلع عام ١٩٩٩م، كان هناك ما يزيد على ٢٥٠ ألف يهودى إسرائيلى، يشكلون حوالى ٥٪ من مجموع سكان إسرائيل، يعيشون فى «القدس الكبرى»، والعدد الكلى لسكان مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان حوالى ١٠٠ ألف نسمة. وهؤلاء غير مجتمعين فى منطقة صغيرة تتصل بمدينة كبيرة، ولكنهم مقسمون عبر الكثير من المستوطنات الصغيرة. فمستوطنة آرييل، على سبيل المثال، والتى تعتبر أكبر مستوطنات الضفة الغربية خارج القدس الكبرى، بها حوالى ١٥ ألف نسمة، وتحتوى مستوطنة كريات أربع على أقل من ٦٠٠٠ نسمة، كما تحتوى الكثير من المستوطنات على حوالى ١٠٠ نسمة لكل منها. وهذه الأعداد تبين أن الغالبية العظمى من اليهود الإسرائيليين يعتبرون الإقامة فى هذه المستوطنات أمرًا غير طبيعى ويرفضون العيش

فيها، وعلى الرغم من الاعتمادات المالية الضخمة والأشكال الأخرى من الدعم المقدمة من جانب الحكومات الإسرائيلية لمدة طويلة من الزمن، فإن القليل من اليهود اختاروا الإقامة فى مستوطنات فى الأراضى المحتلة خارج «القدس الكبرى».

وفى المستوطنات الموجودة خارج «القدس الكبرى» هناك فرق آخر، قام بصنعه الجمهور اليهودى الإسرائيلى، ويجب أن نذكره هنا، فتلك المستوطنات التى يتشابه سكانها اجتماعيًا وسياسيًا مع القطاع العلمانى الغالب فى المجتمع اليهودى الإسرائيلى، كان ينظر إليها ولا يزال، على نحو مختلف عن المستوطنات التى يسكنها يهود متدينون جميعًا أو معظمهم، (كما ذكر من قبل فإن ٢٠٪ من اليهود الإسرائيليين من المتدينين)، ويتضح ذلك فى نتائج الانتخابات الإسرائيلية، والتى يكتب عنها فى وسائل الإعلام كل أربعة أعوام، حيث يتم تناول كل مكان بما فى ذلك المستوطنات. ففى مستوطنات «القدس الكبرى» لم يختلف نمط التصويت عن الشكل السائد لمتوسط التصويت خلف الخط الأخضر، وفى المستوطنات العلمانية الأخرى يتشابه أيضًا نفس النمط، ولكن مع ميل طفيف نحو اليمين. ويحصل حزبا العمل وميرتس دائمًا على نسب جيدة من إجمالى الأصوات. **أما فى المستوطنات الدينية، من جهة أخرى، فإن سكانها نادراً ما يعطون أصواتهم حتى لليكود، أو لأى حزب علمانى يمينى آخر، ويصوتون بدلاً من ذلك للأحزاب الدينية، وغالبًا للحزب الدينى القومى فقط.**

ففى مستوطنة كريات أربع فى انتخابات ١٩٩٢م، على سبيل المثال، حصلت الأحزاب العلمانية الأربعة الأكبر ـ العمل، والليكود، وميرتس، وتسومت ـ معًا على ما يقل عن ٥٪ من عدد الأصوات. أما على المستوى القومى، فقد حصلت هذه الأحزاب معًا على حوالى ٨٠٪ من عدد الأصوات. وفى انتخابات ١٩٩٦م، ارتفعت نسبة الليكود من أصوات كريات أربع لتصل إلى ٤, ٢٤٪ من عدد الأصوات بسبب وعود نتنياهو، وفى التصويت المنفصل الذى جرى ذلك العام على منصب رئيس الوزراء حصل نتنياهو على ٣, ٩٦٪ وحصل بيريز فقط على ٦, ٣٪ من عدد الأصوات، وعلى المستوى القومى حصل نتنياهو على ١, ٥٠٪ وحصل بيريز على ٣, ٤٩٪. وفى «بيت إيل ب» تلك المستوطنة الدينية الصغيرة النمطية، حصل نتنياهو على ٦, ٩٩٪ من الأصوات مقابل ٣, ٠٪ لبيريز فى عام ١٩٩٦م. وفى انتخابات الكنيست لنفس العام فى «بيت إيل ب» حصل الحزب الدينى القومى على ٤, ٧٦٪ وحصل موليدت، أكثر الأحزاب اليمينية تمثيلاً فى الكنيست مع ميول دينية قوية، على ٥, ١٤٪. وعلى ذلك فإن الحزب الدينى القومى وموليدت، وهما الحزبان اللذان حصلا معًا على ١١ مقعدًا من مقاعد الكنيست البالغة ١٢٠ مقعد أو ١, ٩٪ من انتخابات ١٩٩٦م، حصلا على ٩٠٪ من أصوات مستوطنة «بيت إيل ب» وعلى النقيض، فى المستوطنة العلمانية المسماة «ألفى مناشه»، حصل نتنياهو على ٥, ٧١٪ وبيريز على ٤, ٢٨٪ من الأصوات.

إن المستوطنات الأكثر انعزالاً والأكثر تعرضًا للخطر هى تلك التى يسكنها المستوطنون المتدينون، وعلى الرغم من عدم العلم بذلك على نحو موسع فى وسائل الإعلام خارج إسرائيل، فهذه حقيقة مهمة، ففى هذه المستوطنات المعزولة والمعرضة للخطر، نجد أن اليهود المتدينين المسيانيين فقط هم المستعدون للإقامة فيها، وإلى حد بعيد، كان هذا هو السبب الجوهرى فى دعم كل الحكومات الإسرائيلية للمستوطنات الدينية المسيانية بصرف النظر عن عدد من صوتوا فى الانتخابات منها.

وتعتبر مستوطنة «نتساريم» الموجودة فى وسط قطاع غزة، مثالاً جيدًا لهذه المستوطنات، وتوجد إلى الشمال من نتساريم مدينة غزة، وإلى الجنوب بعض من أكبر مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وكل تجمع من التجمعات به حوالى ٢٠٠ ألف نسمة.

وفى منتصف عام ١٩٩٨م، كان يقطن نتساريم حوالى ١٢٠ عائلة مستوطن يهودى مسيانى متدين (وفى وقت توقيع اتفاقية أوسلو كانت نتساريم تحتوى على حوالى ٦٠ عائلة).

وبعض الذكور الراشدين الذين يعيشون فى نتساريم يقضون الجانب الأعظم من وقتهم فى دراسة التلمود، وتوجد بالقرب من نتساريم قاعدة عسكرية تقوم بحراسة أحد الطرق العسكرية، الذى يعبر قطاع غزة من الشرق إلى الغرب. وهذا الطريق - والذى تبعًا لاتفاقية أوسلو يخضع للشرطة الإسرائيلية فقط - يقسم قطاع غزة إلى قسمين.

والقاعدة العسكرية تعتبر ذات أهمية استراتيجية فى التحكم فى غزة، ولكنها بالنسبة للجمهور اليهودى الإسرائيلى وللعالم الخارجى ضرورية لحماية مستوطنة نتساريم، ولم يختر اليهود العلمانيون أو التقليديون أو الحريديم الاستيطان فى نتساريم ولم يظهروا أية مؤشرات تدل على احتمال حدوث ذلك فى المستقبل. وعلى ذلك، فإن الحكومة الإسرائيلية، التى ترغب فى الاحتفاظ بالسيطرة على الطريق، يجب أن تعتمد على المستوطنين المسيانيين الذين هم مؤهلون أيديولوجيًا للإقامة فى هذا المكان.

إن المستوطنات فى الأراضى المحتلة يمكن فهمها على نحو صحيح فقط داخل سياق الاستراتيجية الإسرائيلية الشاملة. والمفهوم الأساسى، الذى تم التمسك به منذ عام ١٩٦٧م من خلال كلٍّ من حزبى العمل والليكود، بدرجات مختلفة من الرياء، كان يتمثل فى قمع الفلسطينيين بأكبر فاعلية ممكنة، وأقصى فاعلية ممكنة تتمثل فى أصغر عدد ممكن من القوات اليهودية لتحقيق هدف محدد، والفكرة الجوهرية فى ذلك هى أن الجنود اليهود المدربين جيدًا يجب الحفاظ عليهم لأقصى درجة ممكنة من أجل الاستعانة بهم فى أى حرب كبرى مع دولة عربية أو أكثر.

فبعد الاستحواذ على الأراضى المحتلة فى يونيو ١٩٦٧م مباشرة قامت الحكومة الإسرائيلية بالتفكير بجدية فى «الخيار الأردنى» وكانت الفكرة التى تقف وراء ذلك هى أن القوات الأردنية يمكن أن تأتى إلى الضفة الغربية من أجل القيام بالعمل الضرورى من أجل إسرائيل. ومع

ذلك، **رفضت حكومة الأردن الموافقة على هذه الخطة**، ولذلك ابتكرت حكومة إسرائيل وقامت بإدارة «اتحادات القرى» المكونة من فلسطينيين محليين يقومون بحكم الضفة الغربية على نحو فعال لبضع سنوات مع القليل من مساندة الجيش الإسرائيلى. **وأدت الانتفاضة إلى تحطيم «اتحادات القرى». وكان كلٌّ من مفهومى «الخيار الأردنى» و«اتحادات القرى» مبتكراً لنفس الهدف، كما كانت عملية أوسلو فى التسعينيات.** وأوضح رابين رئيس الوزراء أن هذا الهدف كان يتمثل فى **أن يُحكم الفلسطينيون بواسطة فلسطينيين لصالح إسرائيل**، وكان من المفترض أن يتحقق ذلك بدون تدخل من منظمات حقوق الإنسان ودون معوقات قانونية إسرائيلية تعوق تنفيذ الرغبة الاستبدادية للنظام التوسعى. وتبعًا لهذا التفكير، فإن الجيش الإسرائيلى يمكن أن يتفرغ للتركيز على استراتيچيته العسكرية الكبرى.

قامت الاستراتيچية الإسرائيلية المتعلقة بقطاع غزة والضفة الغربية فى الفترة التى أعقبت أوسلو، ولا تزال تقوم، على أن تكون المستوطنات بؤر تركيز للقوى العسكرية الإسرائيلية.

وطبقًا لاتفاقيات أوسلو الأخيرة، فإن هذه الطرق العسكرية تظل تحت السيطرة الإسرائيلية ويحرسها الجيش، مع الشرطة الإسرائيلية أو بشكل منفصل. والجيش الإسرائيلى لديه حق قانونى فى إغلاق أى جزء من هذه الطرق فى وجه المرور الفلسطينى، لو كان هذا الجزء يقع داخل منطقة تحكمها السلطة الفلسطينية، ويستخدم الجيش الإسرائيلى هذا الحق

بشكل روتينى، وأحد هذه الطرق، وهو الذى يمر بمدينة غزة، يقطع كامل القطاع ويمر بالمدن الرئيسية ومخيمات اللاجئين. وهناك طريق عسكرى آخر، متصل بقطاع من الأرض ويفصل قطاع غزة عن مصر، وهناك طرق أخرى تقطع قطاع غزة وتصل جانبه الشرقى عند الحدود الإسرائيلية بالبحر أو إلى تجمع المستوطنات اليهودية «قطيف» عند الغرب. وأحد هذه الطرق، وهو طريق نتساريم يلتقى مع الطريق المار بقطاع غزة عند نتساريم، وبذلك فإنه يجعل من نتساريم تقاطع طرق استراتيجيًا مهمًا. وبعد وقت قصير من توقيع اتفاق أوسلو، أعلنت الصحافة العبرية الإسرائيلية أن هناك قوات ضخمة من حرس الحدود والجيش متمركزة بالقرب من نتساريم، حيث تمت إقامة قاعدة عسكرية جديدة هناك.

والوضع الرسمى لنتساريم يسمح لإسرائيل بأن تفعل ذلك بشكل قانونى وتحظى بدعم ذلك الجزء من الجمهور الإسرائيلى اليهودى الأكثر ولاءً للمستوطنات منه للقواعد العسكرية، وحسب تعبير ناحوم بارنيا أحد المعلقين المشهورين: «إذا لم تكن نتساريم موجودة، لجرى اختراعها».

إن التأثير العام لهذه الطرق يتمثل فى تمزيق قطاع غزة إلى مقاطعات من خلال الطرق المارة فيه، ودور المستوطنات اليهودية فى قطاع غزة هو العمل كمحاور لشبكة الطرق. والغرض من ذلك هو التأكد من وجود سيطرة إسرائيلية دائمة أكثر فعالية عليها. وهذا النوع الجديد من السيطرة الذى

يسمى «السيطرة من الخارج» حسب تعبير رابين وساسة العمل الآخرين، يساعد الجيش على السيطرة على قطاع غزة بأقل عدد ممكن من القوات، وهذا أفضل كثيراً من الوضع السابق، حيث كان يجب تواجد قوات ضخمة من أجل السيطرة المباشرة على مدن ومعسكرات اللاجئين فى قطاع غزة، وكثيراً ما كانت الصحافة العبرية تشير إلى الشكل الأقدم فى السيطرة على أنه «سيطرة من الداخل»، وأكدت على أنه كان أقل فعالية ويتطلب عدداً أكبر من القوات من التى يحتاجها أسلوب «السيطرة من الخارج». ويواصل أسلوب «السيطرة من الخارج» الاعتماد على شبكة الطرق التى بدورها تعتمد على مستوطنات مثل نتساريم، وكما ذكرنا بالفعل ويجب أن نكرر ذلك، أن اليهود المتدينين الذين يؤمنون بالأيديولوچية المسيانية هم فقط الراغبون فى إقامة المستوطنات والسكنى بها.

والموقف فى الضفة الغربية، خارج القدس الكبرى، أكثر تعقيداً من الناحية الجغرافية من قطاع غزة، ولكنه يعتمد بشكل أساسى على نفس مبادئ «السيطرة من الخارج»، وهذه السيطرة تتمركز حول شبكة من الطرق تقع محاورها الرئيسية عند المستوطنات. وهناك القليل من المستوطنات التى تم إنشاؤها لأسباب معنوية.

فعلى سبيل المثال، قام آرييل شارون، من أجل إغضاب وزير الخارجية الأمريكى چيمس بيكر الذى كان يزور إسرائيل فى عامى ١٩٩١ و١٩٩٢م، بالمساعدة فى إقامة هذه المستوطنات القليلة. كما قامت جماعات صغيرة من الأصوليين اليهود، أكثر تطرفًا حتى من جوش

إمونيم، بالمعاونة فى إقامة هذه المستوطنات الصغيرة. وعلى الرغم من التغطية الواسعة فى وسائل الإعلام، ظلت هذه المستوطنات ذات أهمية قليلة نسبيًا، حيث تمثل فقط نسبة ضئيلة من هذه المستوطنات، وهناك مستوطنات مثل كريات أربع والمستوطنة اليهودية المنفصلة فى الخليل، حصلت على دعم كل الحكومات الإسرائيلية لأسباب استراتيجية. **وعلى الرغم من تصريحاته اللاذعة فى بعض الأحيان، والتى انتقد فيها المستوطنين، والتى كان الغرض منها مجرد العمل كستار للتغطية على نواياه الحقيقية، قام رابين رئيس الوزراء منذ توقيع اتفاق أوسلو وحتى وفاته بدعم معظم المستوطنات، وخاصة تلك الموجودة فى الضفة الغربية.** وطمأن يوسى بيلين، أحد مهندسى اتفاق أوسلو، مرارًا وتكرارًا الجمهور الإسرائيلى بأن حكومة العمل لن تتخلى عن المستوطنين. وقام بيلين، كما جاء ذلك فى صحيفة «معاريف» فى ٢٧ سبتمبر ١٩٩٥م، بالرد على اتهامات أعضاء الكنيست عن حزب الليكود بالقول:

«إن أسخف اتهام يوجهونه إلينا هو ذلك القائل إننا تخلينا عن المستوطنين. إن اتفاق أوسلو تم تأجيله لمدة شهور من أجل ضمان أن كل المستوطنين لن يلحق بهم أى ضرر وأنهم سوف يتمتعون بأقصى درجات الأمن، وهذا ينطوى على تقديم استثمار مالى ضخم لهم، والوضع فى المستوطنات لم يكن أبدًا أفضل مما هو عليه الآن بعد توقيع اتفاق أوسلو».

الأمر الأكثر أهمية هو أن حكومة العمل أتيحت لها الفرصة لكى تقوم بإزالة مستوطنات الخليل، أو على الأقل جزء منها، خلال الصدمة التى

أعقبت مذبحة جولد شتاين، **وأحجمت حكومة العمل عن ذلك**، وفى مقاله الذى نشر بصحيفة «داڤار» فى ١٨ أغسطس ١٩٩٥م، كشف دانييل ابن سيمون عن المناقشة التى دارت حول هذا الموضوع فى مكتب رابين رئيس الوزراء:

«إن كل رؤساء خدمات الأمن الإسرائيلية يعارضون إخلاء مستوطنى الخليل»، وهذه المعارضة كانت تؤكد على الأهمية الاستراتيجية للمستوطنات واعتماد كلٍّ من الحكومة الإسرائيلية والجيش على المستوطنين المسيانيين.

وتكشف الأيديولوچية المسيانية، التى أوضحناها فى الفصل السابق، والكثير من تصريحات الحاخامات المسيانيين والزعماء العلمانيين عن أن هدف جوش إمونيم، بخلاف هذه الحكومات الإسرائيلية، ليس مقتصراً على القيمة الاستراتيجية للانتفاع بالمستوطنات من أجل السيطرة على الأراضى المحتلة، **فالغرض الأكثر أهمية لزعماء جوش إمونيم هو خلق نماذج لمجتمع إسرائيلى جديد داخل مستوطناتهم المتجانسة. ويحدوهم الأمل فى أن ينتشر هذا المجتمع الإسرائيلى الجديد حتى يمتص فى النهاية اليهود العلمانيين والتقليديين والحريديم، بحيث ينصهرون فى بوتقة هوية يهودية جماعية يتصورونها. وهذه الهوية، حسب اعتقادهم، سوف تكون عبارة عن مجتمع دينى عرقى مضاد لليبرالية والعالمية، ويأتمر بأمر الله.** ومن أجل محاولة ترسيخ فكرتهم، يمكن لزعماء جوش إمونيم التسامح فى الديموقراطية فقط ما دامت تساعد على خلق المملكة اليهودية

المقدسة، وهم يؤمنون بأن أى قيم لا تتماشى مع القيم اليهودية، كما جاءت فى الهالاخاه والقبالاه، يجب التخلص منها، والحقوق المدنية والإنسانية، وكذلك مفهوم الدولة، يجب أن تتحدد من خلال مجموعة من الحاخامات الملهمين. **وأصبحت هذه الآراء أكثر قبولاً لدى المجتمع الإسرائيلى، وخاصة بين أعضاء الحزب القومى الدينى بعد هزيمة حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وفى تلك الحرب ذاقت العسكرية العلمانية الإسرائيلية الهزيمة**، وأدت الهزيمة التى لحقت بالجنرالات، وأدركت على نطاق واسع، إلى تشكيل صفوة مختارة تستقى معلوماتها من مصدر أعلى من مجرد الاعتبارات الاستراتيجية. واعتبر بعض الجنرالات الرواد فى تلك الحرب أنهم كانوا منغمسين فى متعهم الشخصية، ومهملين للأمور العسكرية التى أؤتمنوا عليها، أما حاخامات جوش إمونيم والزعماء المدنيون فقد نظر إليهم الكثير من اليهود الإسرائيليين على أنهم يمتلكون الإخلاص والإحساس بالواجب والالتزام الأخلاقى والأمانة التامة فى الأمور المالية، وأنهم أهل للثقة، واستمر هذا التوصيف حتى بعد ذلك، على نحو يشبه الانطباع السائد عن قادة حماس فى المجتمع الفلسطينى، وظل زعماء جوش إمونيم مخلصين لمبادئهم وأمناء ماليّا. وفى مجتمع ملىء بكل أنواع الفساد، يعتبر ذلك فى غاية الأهمية، **علاوة على ذلك فإن جوش إمونيم كانت ولا تزال لديها قاعدتها المالية الخاصة، والتى تغذى باستمرار عن طريق أتباعها المخلصين الذين يستطيعون التعامل مع الأسلحة بمهارة كما يستطيعون القيام بالمهام العسكرية.**

ازدادت قوة جوش إمونيم بدرجة ملحوظة فيما بين عامى ١٩٧٤ و١٩٩٢م وبالإضافة إلى أنها حظيت بأنصار آخرين على درجات متفاوتة من الالتزام، **وربما كان أعظم إنجازاتها بعد عام ١٩٧٤م هو ذلك الذى تمثل فى قدرتها على التأثير فى الثقافة اليهودية والهوية الجماعية أثناء الفترة التى طفت فيها الأفكار المتمركزة حول العرق على سطح المجتمع الإسرائيلى**. وظل معظم الجناح اليمينى السياسى، وكذلك العديد من أنصار حزب العمل، متعاطفين مع جوش إمونيم ما دام الفلسطينيون فى الأراضى المحتلة محافظين على هدوئهم. واستمر هذا الوضع حتى اندلعت الانتفاضة فى ديسمبر ١٩٨٧م. وقبل حدوث الانتفاضة شعر الكثير من اليهود الإسرائيليين أن السيطرة على الفلسطينيين من الداخل ليست باهظة التكلفة، ومن الممكن احتمالها. **وعلى ذلك، شعر الكثير من اليهود الإسرائيليين العلمانيين أنهم يمكنهم أن يدعموا تصور جوش إمونيم لاحتلال الأرض أكثر من دعمهم لتصور موشيه ديان، الذى ساد حتى عام ١٩٧٤م، وكان يعتمد على التعاون مع الوجهاء الفلسطينيين المحافظين**. وأدى التعاون مع الوجهاء الفلسطينيين التقليديين إلى أن جعل من غير الضرورى الاحتفاظ بقوات إسرائيلية ضخمة داخل المناطق المكتظة بالسكان الفلسطينيين. وبسبب أن هؤلاء الوجهاء كانوا معزولين بسبب الاستيطان وبسبب مصادرة الأراضى فى تلك المناطق، تم ابتكار «اتحادات القرى» كبديل للقوات التقليدية وكشفت الانتفاضة عن أن هذا الأسلوب لم يكن له سوى أهمية مؤقتة. **وبدأ الاستيطان فى غزة وبقية**

أراضى الضفة الغربية فى عام ١٩٧٥م، حينما أصبح رابين رئيسًا للوزراء للمرة الأولى وأصبح بيريز وزيرًا للدفاع ومسئولاً بالتالى عن الأراضى المحتلة، وهذان المهندسان لما أطلق عليه عملية السلام فى التسعينيات كانا مسئولين إلى حد كبير عن أحد العوامل الكبرى المعوقة للسلام.

أدى اندلاع الانتفاضة إلى تغيير اتجاه التعاطف داخل المجتمع اليهودى الإسرائيلى، وقامت الحكومة الإسرائيلية بنشر مزيد من الجنود الإسرائيليين فى الأراضى المحتلة. ودفع هذا الكثير من اليهود الإسرائيليين العلمانيين إلى إعادة النظر فى التكاليف الخاصة بالحفاظ على الأراضى المحتلة. وتوصل الكثير من هؤلاء اليهود إلى أن تكاليف ذلك باهظة، وتكوَّن موقف جديد داخل المجتمع الإسرائيلى واستمر لما بعد ذلك. وتحالف المسيانيون وأنصارهم من الاتجاهات المختلفة، والمؤمنون جميعًا بأيديولوجية التمركز حول العرق، وتكتلوا وكوَّنوا معسكرًا واحدًا. وتكوَّن المعسكر الآخر من جماعة متجانسة سياسيًا واجتماعيًا، جمعها جميعًا معارضة الاتجاه الثيوقراطى اليهودى الذى اعتبروه نتيجة حتمية للدعم المستمر لجوش إمونيم ومستوطناتها. وأدى استمرار الهيمنة الإسرائيلية على الأراضى المحتلة، والتى تمليها إى حد ما جوش إمونيم، إلى أن أصبح هذا الموضوع قضية جوهرية فى الصراع بين المعسكرين اليهوديين الإسرائيليين.

ساهم التنظيم السريع لمستوطنى جوش إمونيم فى توسيع وزيادة قوة المستوطنات الدينية بعد عام ١٩٧٤م. وقام الحاخامات الذين أصبحوا

وظلوا زعماء مهيمنين على مستوطنى جوش إمونيم فى عام ١٩٩١م، بتنظيم أنفسهم من خلال اتحاد حاخامات يهودا والسامرا (أى الضفة الغربية).

وتكونت هذه المجموعة بعد قيام الرئيس الأمريكى بوش بالضغط على شامير للمشاركة فى مؤتمر مدريد، وكان زعماء المستوطنين يخشون ما يمكن أن يسفر عنه مؤتمر مدريد، ويتضح ذلك من خلال ما كتبه دوف ألباوم فى ٧ يناير ١٩٩٤م من «جيروزاليم پوست»:

«قام الحاخامات، الذين يثقون فى الوعد الإلهى، باستغلال الموقف من خلال ملء فجوة الزعامة» وازدادت قوة الاتحاد الحاخامى بعد توقيع اتفاق أوسلو. ويواصل ألباوم تحليله من خلال الاستشهاد بكلمات الحاخام دانييل شيلو، حاخام مستوطنة كودنيم المسيانية:

«إن حاخامات يهودا والسامرا يقومون الآن بحل أخطر المشاكل التى يواجهها المستوطنون المتدينون حينما بدأوا فى فقد إيمانهم بالاستيطان اليهودى فى يهودا والسامرة، كما أمرنا الله، كوسيلة لخلاص اليهود. وبدأ اليهود الذين يفتقرون إلى الإيمان فى التفكير مليًا فيما إذا كانت فكرة الاستيطان فى الأراضى المحتلة من أساسها خاطئة أو فيما إذا كانت عملية الخلاص الإلهى لم يأن أوانها بعد أو ما إذا كان الله يشير إلينا بأن نوقف الاستيطان. ففى هذا الوقت يجب على الحاخامات الإجابة عن كل هذه الأسئلة. وهذا هو السبب فى أن الحاخامات لديهم سلطة أكبر من أى زعيم آخر من زعماء جوش إمونيم الدنيويين التقليديين».

وقام الحاخامات باستخدام هذه السلطة من أجل التأكيد لأتباعهم على أنهم يجب أن يؤمنوا بهم، فالإيمان بهم يعبر عن إيمانهم بالله.

وأشار ألباوم أيضًا إلى:

«أن حاخامات يهودا والسامرا غير راضين عن أن تخلع عليهم فقط سلطة روحية. فسرعان ما بدأوا فى تكوين شبكة استخبارات خاصة بهم، والتى اتسعت بدرجة كبيرة، باستخدام المعلومات المجمعة من الضباط المتدينين أو المتعاطفين فى المناصب العليا بالجيش الإسرائيلى. وتمت الإشارة إلى الچنرال موشيه باركوفا، أحد أعضاء الأركان العامة الذى توفى مؤخرًا بعد تقاعده من الجيش، من خلال حاخامات يهودا والسامرا باعتباره أحد مصادر المعلومات الكبرى لهم. وزعموا أن باركوفا كان يمدهم بالمعلومات على نحو منتظم وكان يخبرهم مسبقًا بعمليات الجيش فى الأراضى المحتلة. **وبعد العلم بذلك، حذا ضباط آخرون حذوه، وبناءً على ذلك، قررت قيادة الجيش، الوصول للزعامة الحقيقية للمستوطنين المتدينين، بتنظيم هذه العلاقات وإخطار الحاخامات بشكل رسمى بهذه العمليات. فعلى سبيل المثال، لم يتردد قائد إحدى الكتائب فى إلباس حاخام إحدى المستوطنات المحلية الثياب العسكرية واصطحبه إلى أحد المواقع العسكرية المخصصة للمراقبة؛ لكى يتعرف بنفسه على الجنود المتخفين الذين يعملون فى القرى العربية المحلية. وكان يأمل القائد من وراء ذلك فى إقناع حاخامات يهودا والسامرا بالتوقف عن إغلاق**

الطرق السريعة الكبرى، الأمر الذى يؤدى إلى إعاقة تحركات الوحدة، وهذه ليست الحالة الوحيدة.

وحافظ رابين، الذى كان يضع على قمة أولوياته محاولة التوصل إلى حوار مع المستوطنين المتدينين، على الاتصال بأعضاء مجلس يهودا والسامرا، ولم يكن يستطيع إقامة نفس الحوار مع حاخامات مملكة يهودا؛ لأنهم اعتبروا أن التواصل مع شخص آثم مثله يحط من قدرهم. كما أنهم كانوا يدركون أيضًا أن «أعضاء المجلس الوضعى (أو مجلس العوام) لا يجرءون على اتخاذ أى قرار مهم دون الحصول على مباركتهم».

هبطت عملية أوسلو كالصاعقة على رأس حاخامات جوش إمونيم وكذلك المستوطنين العوام. وقد حدث ذلك على الرغم من الدعم المادى الكبير للمستوطنات الذى كانت تحصل عليه جوش إمونيم فى التسعينيات من رؤساء الوزراء رابين وبيريز ونتنياهو. وقدم بعض الحاخامات المسيانيين تفسيرات لحدوث أوسلو وحاولوا التشاور مع رعاياهم فى ذلك ولكنهم لم يحققوا أى نجاح يذكر. فالرمزية الدينية، وخصوصًا تلك التى تظهر على شكل رؤى مقدسة، منعت التواصل، فرؤية الفلسطينيين يلوحون بأعلامهم وظهور الشرطة الفلسطينية المسلحة وانتشار رموز السلطة الفلسطينية جسد أمام ناظريهم دليلاً مرئيًا يشير إلى فشل الرؤية المسيانية فى الخلاص العاجل. وأدى هذا بدوره إلى تعميق العداء «لليهود الخونة»، الذين أفسدوا بمنطقهم مخطط الرب ودفعوا غالبية اليهود إلى تجاهل الأمر الإلهى والمشى وراء الخونة. وهذا العداء والكره، الذى كان

موجهًا فى معظمه نحو رابين ووزرائه، كان متسقًا مع ما جاء فى القبالاه، التى تقول إن خلاص اليهود الذى يحدث فى أوقات مختلفة لا يوقفه فقط فى كل مرة سوى أن تختار غالبية الأمة أن تتبع خائنًا أو زنديقًا، وفى التاريخ اليهودى كان أولئك الأكثر إيمانًا بمجىء الخلاص هم الأكثر توجسًا من الخيانة. وبعد أوسلو كان معظم هؤلاء متمركزين فى المستوطنات اليهودية.

لم تكن كراهية العرب واليهود العلمانيين مقتصرة فقط على أعضاء المستوطنات اليهودية، ففى مقاله الصادر فى ١١ مارس ١٩٩٤م بصحيفة «شيش»، ركز نيرى هوروفيتس على جماعة أخرى من المتطرفين يسمون الحرديليم، وقام هوروفيتس بتحليل «كراهية الحرديليم المزدوجة للعرب واليهود العلمانيين» كما قدم وثائق على شكل مقتطفات من كتاباتهم الغزيرة والغامضة والمملوءة بإشارات إلى القبالاه. وعلى الرغم من غرابتها، فقد أثرت كتابات الحرديليم على الغالبية العظمى من اليهود المتدينين (عارضت أقلية ضئيلة من اليهود المتدينين كتابات الحرديليم).

وقدم ناداف شراجاى وصفًا أكثر شيوعًا لأيديولوچية «الكره المزدوج» هذه فى مقاله بهاآرتس فى ١٨ فبراير ١٩٩٤م. فأشار شراجاى إلى إغفال بعض المستوطنين المتدينين ويهود متدينين آخرين للصلاة التقليدية من أجل دولة إسرائيل، والتى لم تقبل أبدًا من قبل الحريديم، ولكنها تتلى بواسطة أنصار الحزب الدينى القومى فى كل يوم سبت وفى كل عيد دينى منذ عام ١٩٤٨م. وأشار شراجاى إلى أن بعض اليهود المتدينين

الذين أدركوا فى السابق أن دولة إسرائيل هى دولة مقدسة أغفلوا هذه الصلاة وأغفلوا قداسة الدولة، **وأصبحوا مقتنعين بأن الحكومة والدولة، بقبولها أوسلو، قد «خانت مهمتها المقدسة» وبعد استنتاج أن رابين ووزراءه هم خونة**، اعتبر المسيانيون أن الكلمات الآتية للصلاة هى كلمات آثمة:

«يا إلهى، اغمر بنورك وحكمتك زعماء إسرائيل ووزراءها ومستشاريها»، وأصر شراجاى على أن هذا التحليل يركز على خصوم معتدلين نسبيًا، وهؤلاء المعتدلون ركزوا على جدل أيديولوچى مكثف، ولكنهم لم يقوموا، كما فعل المتطرفون، بالتخطيط والتورط فى القتل وفى أعمال عنف أخرى.

وكتب شراجاى يقول:

«ولّدت الأزمة الشخصية والأيديولوچية والدينية التى وجد المجتمع اليهودى المتدين القومى فى إسرائيل نفسه فيها، الشكوك حول الأسس الجوهرية للصهيونية الدينية: ألا وهى تحالفها التاريخى مع الصهيونية العلمانية وقبولها الحماسى لدولة إسرائيل، ففى الماضى كان هذا التحالف يدور حول إدراك أن دولة إسرائيل العلمانية هى المرحلة الأولى فى عملية الخلاص. وفى الوقت الحاضر، حتى المعتدلون يشككون فى هذا الافتراض، وهؤلاء المشككون ليس لديهم الكثير الذى يشتركون فيه مع متطرفين مثل يهودا عتسيون المنتمى **للحركة السرية اليهودية التى تعارض أى دولة يهودية لا تكون ملكية تحكمها الأسرة الداودية، أو مع**

موردخاى كاربل، مؤسس حركة «الأمة اليهودية توجد للأبد»، والذى يرغب أيضًا فى تحويل إسرائيل إلى ملكية ثيوقراطية».

كما أشار شراجاى إلى أن العديد من الحاخامات المؤثرين، بمن فيهم عزرائيل آرئييل قام بمدح السفاح جولدشتاين، يقودون «المعتدلين».

واستشهد شراجاى بأقوال الحاخام آرييل:

«إن المستوطنات الدينية قد أقيمت ليس فقط من أجل خلق حقائق على الأرض، ولكن أيضًا من أجل جمع قلوب وعقول الشعب اليهودى حولها. فنحن نؤمن بأنه من خلال لقاء الأجزاء المقدسة من الأرض كما لو كانت مخلوقًا حيًا، فإن قلوب الجماهير اليهودية سوف تتحد مع قلب الأرض. كما تصورنا أن هذه العملية سوف تعيد تواصل الوعى اليهودى القومى بجذوره الروحية».

وأشار الحاخام آرييل أيضًا إلى أنه:

«بالنسبة للغالبية العظمى من اليهود، فشلت المستوطنات فى إعادة هذه الصلة المقدسة. **فالغالبية العظمى من اليهود تخلوا عن الجذور الموجودة فى أرواحهم ولوثوا أنفسهم من خلال ارتكاب إثم اختيار ما يطلق عليها «أخلاقيات» الحضارة الغربية بدلاً من قيمهم الخاصة.** وفى دولة الإثم هذه ظلت قلوبهم جامدة تجاه أرض إسرائيل. . . .

وعلينا الآن أن نقوم ببناء المجتمع المقدس والملتزم من الداخل، دعونا نكف عن الترقب، دعونا نكف عن البحث عن دروب تقودنا إلى قلوب

أشقائنا اليهود الآثمين. فيومًا ما، سوف يجد أولئك الذين تخلوا عن الدين اليهودى أحلامهم وقد تحطمت، وسوف يشعرون بالخواء. وبعد أن يتخبطوا فى كل طريق، سوف يأتون للبحث عنا. وحتى ذلك الحين فإن دورنا سوف يتمثل فى إنشاء جيل من المقدسين والمختارين، جيل قادر على استقبال اليهود المخطئين التائبين بأذرع مفتوحة».

عندما قام الحاخام آرييل بتقديم حجته، لم يشر إلى الفلسطينيين من قريب أو بعيد.

فعلى الرغم من إدراكه أن الفلسطينيين يحيطون بمجتمعاته المقدسة والملتزمة من كل الجوانب، فإن الحاخام آرييل وحاخامات آخرين مثله اعتبروا وجود الفلسطينيين لا علاقة له بالموضوع، وشغلوا أنفسهم بالصهاينة اليهود العلمانيين. واستشهد شراجاى بقول آرييل: «**وصلت الصهيونية التاريخية إلى قمة الإفلاس.. فالصهيونية الحقيقية، وهى الوحيدة المقدسة ذات الجذور العميقة، توجد فقط حيث يوجد اليهود المتدينون، فى جبال يهودا ووديان السامرا**».

وفى هذا المقال قام شراجاى أيضًا بالاستشهاد بحاخام الاستيطان يائير درايفوس. فمن خلال إيمانه بأن إسرائيل ارتدت روحيًا من خلال اتفاقها مع منظمة التحرير الفلسطينية، أعلن درايفوس أن توقيع هذا الاتفاق سوف يضع نهاية للحقبة اليهودية ـ الصهيونية فى التاريخ المقدس لأرض إسرائيل.

وواصل درايفوس القول:

«إن المؤرخين سوف يسجلون أن الحقبة اليهودية ـ الصهيونية استمرت من ١٩٤٨ إلى ١٩٩٣م. فقد انتهت حينما تحول معظم اليهود إلى كنعانيين، وعلى ذلك، فإن عام ١٩٩٣م يشير إلى بداية الحقبة الكنعانية الجديدة.. تلك الحقبة من الفكر السياسى اليهودى الآثم، والفكر الثقافى ـ التعليمى الذى سوف يتلوث من خلال التيار العربى المتسارع. وسوف يواصل اليسار اليهودى ممارساته الخيانية فى طرد اليهود من المواقع الجوهرية واستبدال العرب بهم، وهذا سوف يحدث فى الحكومة وفى الإعلام، وفى هيئات تحرير الصحف وفى مجالس إدارة الجامعات. فكل موقع مهم سوف يحتله عربى».

وعلى الرغم من عدم تحقق نبوءاته بعد ١٩٩٣م، ظل الحاخام درايفوس مصرّاً على اعتقاده الخاص بالحقبة الكنعانية الجديدة، فهو يؤمن بأن التلوث سوف ينتج من اتصال اليهود بالأغيار. واتهم الحاخام درايفوس اليهود العلمانيين بأنهم «**يريدون خلق شخصية إسرائيلية ـ كنعانية جديدة، وهذا يؤدى إلى تدمير اليهودية الحقة من خلال مزجها بعناصر غريبة**»، كما أنه خشى من أن تؤدى هذه الشخصية الجديدة إلى استئصال الدافع اليهودى ـ الصهيونى. كما اتهم حزب ميرتس بأنه يمتزج بالشيوعية، وبذلك فإنه يلوث الصهيونية. ويواصل درايفوس قائلاً: إن هذا المزيج «أدى إلى استيلاء بذور نمو هوية شرق أوسطية جديدة: ألا وهى اليهود الكنعانيون ـ الفلسطينيون المزيفون».

وتوصل فى النهاية إلى :

«أن اليهود الحقيقيين الذين يرغبون فى العيش كيهود، لن يكون أمامهم خيار سوى أن يعزلوا أنفسهم فى مجتمعات مغلقة «جيتو»، والدولة الكنعانية ـ الفلسطينية الجديدة الآثمة (إسرائيل بعد أوسلو) سرعان ما تقوم على أنقاض الدولة اليهودية ـ الصهيونية الأصلية، ولن تكون، كما هو متوقع من إسرائيل فى أن تكون كلمة الله، وقاعدة لعرش الله على الأرض. إن الله ربما يشن الحرب على تلويث عرشه. واليهود الذين قادونا إلى هذا الإثم لم يعودوا يستحقون أى حماية إلهية. ويجب علينا أن نقاتل أولئك الذين فصلوا أنفسهم عن إسرائيل الحقيقية. لقد أعلنوا الحرب علينا، نحن الذين نحمل كلمة الله. وقيادتنا سوف تسير عبر طريق الآلام قبل أن تفهم أننا أمرنا أن نقاوم دولة إسرائيل وليس حكومتها فقط، وتعاوننا مع وكالاتها يمكن أن يقوم فقط على ميثاق جديد، وبدون ذلك، فإننا نكون مستسلمين لحكومة الشر. وبدلاً من ذلك فإننا سوف نشن حربًا لا تعرف الرحمة ضد الكيان الكنعانى ـ الفلسطينى».

من خلال تعبيره عن آرائه بصراحة وقوة، فإن الحاخام درايفوس مثَّلَ وأثر فى تفكير المستوطنين الأكثر تدينًا قبل وبعد اغتيال رابين. وعلى الرغم من العداء للمسيحية الكامن فى اليهودية التاريخية والصهيونية الدينية، فإن المناظرة هنا بصيغ لاهوتية مسيحية خاصة واضحة.

وبالنسبة لليهود الإسرائيليين العلمانيين، فإن القضية الأكثر أهمية المتعلقة بالحزب الدينى القومى والمستوطنين المتدينين دارت حول اختراق

أنصار الحزب الدينى القومى من الشباب للوحدات القتالية ووحدات الصفوة فى جيش الدفاع وصفوف الضباط، فلمدة ما يقرب من ٢٥ عامًا بعد حرب يونيو ١٩٦٧م، أدى هذا الاختراق إلى تعزيز صورة وأهمية الحزب الدينى القومى فى المجتمع الإسرائيلى، وظهر نوع من أنواع الشراكة بين الحزب الدينى القومى والغالبية العلمانية، ومع ذلك، أدى البدء فى عملية أوسلو إلى دفع الكثير من اليهود العلمانيين إلى مراجعة مواقفهم وإثارة بعض القضايا الجادة. كما أدى اغتيال رابين إلى إلقاء الضوء وإثارة المخاوف من اختراق الحزب الدينى القومى للجيش، وقد حدث كل ذلك بسبب الشخصية العسكرية القوية للمجتمع اليهودى الإسرائيلى.

تبلورت هذه الشخصية ليس فقط لأن اليهود الذكور يخدمون فى الجيش لمدة ثلاث سنوات على الأقل، ولكن أيضًا لأنهم، بعد أداء الخدمة العسكرية، يستمرون فى الخدمة الاحتياطية لمدة شهر كل عام حتى سن ٥٤ عامًا، كما أن خدمة نصف الإناث اليهود فى الجيش لمدة عامين على الأقل تساهم بشكل إضافى فى بلورة هذه الشخصية، وأولئك الذين يخدمون فى الوحدات القتالية أو وحدات الصفوة أو كطيارين؛ يتمتعون بمكانة اجتماعية هائلة عندما يتركون الخدمة ويكونون غالبًا قادرين على ممارسة نفوذ سياسى. وكان الضعف السياسى للأحزاب الدينية، وخاصة الحزب الدينى القومى، قبل ١٩٦٧م، متصلاً اتصالاً مباشرًا بعدم اشتراك جنود متدينين فى وحدات القتال والصفوة

بالجيش. وتغير هذا الموقف ببطء بعد ١٩٦٧م، وحينما ظهرت جماعة جوش إمونيم فى عام ١٩٧٥م، فإن زعماءها وخاصة حاخاماتها بدأوا فى حث أتباع الحزب الدينى القومى من الشباب على التخصص العسكرى كواجب دينى والانضمام إلى الوحدات المقاتلة ووحدات الصفوة فى الجيش وأن يصبحوا ضباطًا. وأصبح أتباع الحزب الدينى القومى الشباب جنودًا مخلصين ومنظمين وفعالين ومستعدين، عند الضرورة، للتضحية بأرواحهم فى سبيل بلدهم. **ورحبت القيادة العليا للجيش، وقطاع كبير من اليهود الإسرائيليين بهذا التطور بحماس كبير، وبذلك حظى الحزب الدينى القومى بتقدير شعبى، كما حدث فى السابق مع حركة الكيبوتس؛ وذلك بسبب الأداء العسكرى الممتاز لأعضائها الشباب.**

أحدثت عملية أوسلو تغييرًا فى الإعجاب المنقطع النظير بجوش إمونيم والحزب الدينى القومى، وتصاعدت المخاوف من أن يرفض أتباع الحزب الدينى القومى تنفيذ أوامر الحكومة بالانسحاب الإسرائيلى من أجزاء من الأراضى المحتلة وإزالة مستوطنة يهودية أو أكثر. وتزايدت المخاوف بعد اغتيال رابين، وحتى قبل الاغتيال، عبر باروخ كيمرلنج فى مقاله المنشور بجريدة هاآرتس بتاريخ ٦ أبريل ١٩٩٤م، عن قلقه وتخوفه. وناقش موضوع اختراق الجيش الإسرائيلى بواسطة المتحمسين الدينيين والتأثير القوى للمستوطنين المتدينين على الوحدات المتمركزة فى الأراضى المحتلة. وتوصل إلى أنه: «الآن يجب على قيادة الجيش أن

تتأكد من أن كل وحدات الجيش خاضعة للإشراف، فالضباط، وحتى الوحدات التى كانت ساهمت لمدة طويلة فى التفاوض مع المستوطنين المتدينين وحمايتهم وأقامت علاقات قوية معهم، يجب استبعادهم فى الوقت الحالى».

واعتبر كيمرلنج هذه التوصية الحل البديل الوحيد.

ولم توافق القيادة العليا للجيش على ذلك، وكذلك معظم الجمهور المجامل فى ذلك الوقت. وأدرك كيمرلنج أنه «على المدى الطويل» لن تصبح المشكلة الناشئة عن هذا الوضع قابلة للحل، بدون تغيير عميق فى المجتمع. وكتب يقول: «من ناحية، من الصعب أن نرى كيف يمكن للجيش، الذى لديه عدد كبير من الضباط المعتنقين لأيديولوچية المستوطنين المتدينين، أن يخلى مستوطنة يهودية. ومن ناحية أخرى أرى أنه من الصعب تخيل كيف يمكن للجيش الإسرائيلى أن يكون نقيًا أيديولوچيًا».

والجدير بالذكر أن هناك مخططين متفردين تم ابتكارهما لشباب الحزب الدينى القومى على نحو منظم من أجل الخدمة واختراق الوحدات المقاتلة ووحدات الصفوة..

المخطط الأول تمت صياغته على شكل اتفاق لا يحكمه القانون بين طرفين مستقلين وهما وزارة الدفاع الإسرائيلية والنظار الحاخاميين للمدارس الدينية الهاسديرية التابعة للحزب الدينى القومى. فتبعًا لهذا

الاتفاق، يحصل طلاب المدرسة الدينية الهاسديرية على نوع معين من الخدمة العسكرية، فهم لا يلتحقون بالجيش بالطرق المعتادة، وعلى ذلك لا يخدمون بشكل متواصل لمدة ثلاثة أعوام فى الوحدات التى يحددها الجيش تبعًا لاحتياجاته، والوحدات المعتادة للجيش تتكون دائمًا من جنود يحملون آراء دينية، وعلمانية مختلفة. أما طلاب المدارس الدينية الهاسديرية فإنهم بدلاً من ذلك يلتحقون بالجيش كمجموعة واحدة ويخدمون فى معسكراتهم الخاصة المتجانسة، ويصاحبهم حاخاماتهم حيث يكونون مسئولين عن مراقبة «النقاء الدينى» لطلابهم، ويقضون فى الخدمة العسكرية ثمانية عشر شهرًا فقط بدلاً من ثلاث سنوات كاملة، وفترة الثمانية عشر شهرًا لا تكون متصلة، ولكنها تقسم إلى ثلاث فترات كل منها مدتها ستة أشهر، وبعد كل مدة منها يقوم طلاب اليشيڤوت الهاسديرية بترك الجيش لمدة ستة أشهر لدراسة التلمود بالمدرسة الدينية، حيث يتم التخلص من الآثار السلبية الخاصة بالالتقاء بالجنود اليهود العلمانيين. ويواصل جنود اليشيڤوت الهاسدير الخدمة فى وحدات الاحتياط فى ظل الظروف العادية. والضغوط السياسية التى مارستها جماعة جوش إمونيم، والتعاطف مع أعضائها من خلال جنرالات الجيش فى السبعينيات كان المسئول جزئيًا عن هذا الاتفاق الخاص. ومع ذلك فإن السبب الرئيسى فى استمراره هو الأداء العسكرى الممتاز والسجل المشرف لطلاب المدرسة الدينية الهاسديرية.

فأداؤهم كان متفوقًا على بقية جنود الجيش، وكذلك ولاؤهم كان أقوى. ولم يكن هذا رأى الجنرالات فقط ولكنه كان رأى الجنود أيضًا، فأثناء الأعوام الثلاثة لحرب لبنان (٨٢ ١٩ـ ١٩٨٥م) وإبان القتال فى «المنطقة الأمنية» على سبيل المثال، واصل طلاب المدرسة الدينية القتال حتى بعد أن جرح وقتل عدد كبير من الجنود الإسرائيليين، كما أن وحدات الهاسدير أيضًا كانت مميزة أثناء قمع الانتفاضة واشتهرت بوحشيتها مع الفلسطينيين، والتى كانت أكثر قسوة من باقى وحدات الجيش الإسرائيلى، والتركيب المتجانس لوحدات مدرسة الهاسدير الدينية بالجيش كان سببًا آخر لاستمرار هذا الاتفاق الخاص، وحينما كان الضباط القادة يرغبون فى إنزال عقاب وحشى بالفلسطينيين أو غيرهم فإنهم فى الغالب يعتمدون على استخدام الجنود المتدينين، أما فى الوحدات العادية، التى تتألف من جنود يحملون وجهات نظر سياسية متنوعة، فإن بعض أفرادها يمكن أن يعترضوا على الوحشية غير المشروعة، وربما كانوا يبلغون وسائل الإعلام بذلك. أما فى وحدات الهاسدير، حيث يكون الجنود المتدينون أكثر وحشية من معظم الجنود العلمانيين، فإنهم لا يعترضون على الأوامر.

ومنذ عام ١٩٩٦م، حينما أشارت الدلائل إلى أن عضوية المدارس الدينية الهاسديرية كفت عن الازدياد، وربما تبدأ فى التناقص، أصبح نظام الأكاديمية الدينية قبل العسكرى هو الوسيلة الرئيسية للاختراق المنظم لأنصار الحزب الدينى القومى لصفوف الجيش الإسرائيلى.

ومن خلال هذا النظام، فإن الشباب فى سن الثمانية عشر عامًا، الذين يلتحقون بالأكاديميات الدينية ما قبل ـ العسكرية يتم إعطاؤهم تأجيلاً لمدة عام أو عام ونصف للدراسة. وبعد ذلك يخدمون لمدة ثلاثة أعوام فى الوحدات المقاتلة أو وحدات الصفوة، والمدرسون فى هذه الأكاديميات فى معظمهم ليسوا حاخامات، ولكنهم ضباط سابقون فى الجيش حاصلون على بعض المعرفة التلمودية. ويخصص جانب صغير من التعليم للمواد العسكرية والتدريب على المشى وقوة التحمل. ويخصص الجانب الأكبر من وقت الدراسة لتلك الأجزاء من التلمود والمواد الدينية الأخرى التى تغرس الولاء لأرض إسرائيل والقيم الأخرى المحبذة بواسطة جوش إمونيم، وهذه الحياة الأكاديمية ما قبل العسكرية المتقشفة تجذب الشباب المتدينين، الذين غالبًا ما يكونون ضد أسلوب الحياة المنغمس فى اللذة الدنيوية للشباب الإسرائيلى العلمانى. **ومنذ افتتاحها والأكاديميات ما قبل العسكرية توجد فى مستوطنات الأراضى المحتلة، وقام الجيش منذ البداية بمساعدة هذه الأكاديميات إلى حد ما، ولكن الجانب الأكبر من الدعم المالى كان يأتى من المتبرعين، ومعظم خريجى هذه الأكاديميات قبل ـ العسكرية يتم إعدادهم بشكل جيد مقدمًا لصفوف الضباط. وبسبب إيمانهم بأن الجيش الإسرائيلى هو جيش مقدس، فإن أولئك الذين يتخرجون من هذه الأكاديميات يخدمون لمدة ثلاث سنوات كاملة. ويقضى البعض منهم فترة زمنية أطول ويصبحون ضباطًا عاملين بالجيش.**

بعد اغتيال رابين، بدأ الكثير من الإسرائيليين فى النظر إلى ازدياد عدد أنصار الحزب الدينى القومى باعتباره تهديداً للحكومة وللنظام الإسرائيلى ككل. **وقام ران إدليست بمناقشة هذا الموضوع بإيجاز فى مقاله المنشور فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٦م بصحيفة «أورشليم» الناطقة بالعبرية، بعنوان «أولاً سوف نغزو المحكمة العليا، وبعد ذلك الأركان العامة». وعنوان هذا المقال يتحدث عن الرغبة فى اختراق وغزو المؤسسات الأكبر أهمية فى دولة إسرائيل.**

وعند مناقشة الأهداف العامة لليمين المسيانى، الذى يمثل المستوطنون المتدينون حراسه الأولين، كتب إدلست يقول:

«إن مؤسساتهم لديها قدرة على الاحتمال تشبه تلك التى لدى عدّاء المسافات الطويلة، حيث إنهم يؤمنون بالحياة الأبدية للأمة اليهودية، ويعدون فى هذا الإطار أربعة محاور للمعركة من أجل أرض إسرائيل: **المستوطنات، والدعم المالى، والتعليم، وإدخال رجالهم فى الجيش من أجل تحقيق الهيمنة على هيئة الأركان.** وهذه ليست مؤامرة ولكنه تقدير هادئ للموقف القومى فى صراعهم من أجل الصورة المستقبلية للمجتمع الإسرائيلى واستغلالهم للحكومة الانتهازية من أجل ملء خزائنهم، إن القضية ليست قضية الخير والشر، ولكنها صراع على شخصية دولة إسرائيل، **ويستخدم الجناح اليمينى المتدين المدخل الشرعى من أجل غزو مواقع السلطة والتى تحتل «الأركان العامة» للجيش موقع الصدارة فيها.** وقد يقال إنه منذ إنشاء إسرائيل والشعار السرى للساسة الإسرائيليين

يتمثل فى «سوف نقوم أولاً بغزو جهاز الأمن، وبعد ذلك الكنيست والحكومة». وفعل بن جوريون هذا حين أزاح شاريت ولافون. وكان شعار جولدا مائير هو «الحزب هو كل شىء» ومنذ ذلك الوقت وحزب العمل يسيطر على «الأركان العامة» وأصبحت هذه السيطرة عتيقة لدرجة أن بيجن وشامير، فى فترات رئاستيهما للوزراء لم ينجحا فى تغيير ذلك، وقاما بتكوين هيئة أركان أخرى تخضع لأيديولوچيتيهما».

ومن خلال فهمهم للسياسة الإسرائيلية، قام المستوطنون المتدينون بابتكار وتطوير خطتهم الخاصة باختراق الجيش، وضباطه، وفى النهاية هيئة أركانه العامة، وكتب إدلست فى ذلك يقول:

«أدرك المستوطنون المتدينون أنه من خلال معونة السياسة الحزبية، وأيديولوچياتها فقط، لن يمكنهم المضى قدمًا وتحقيق دولة إسرائيل طبقًا للحدود التى وعد بها الرب. فإذا كانوا يريدون أن تكون لهم قدم فى كل مكان تتخذ فيه القرارات المهمة، وخاصة فى الجيش ككل وهيئة الأركان على وجه الخصوص، فإنهم يجب أن يكون لهم ممثلون فى هذه الأماكن، فأولاً يتم تحديد الهدف وبعد ذلك يتم تقرير وسائل تحقيق هذا الهدف».

وأصبحت المدارس الدينية الهاسديرية والأكاديميات الدينية قبل العسكرية هى هذه الوسائل.

وهناك مراقبون ومعلقون إسرائيليون آخرون قدموا تحليلات مشابهة، ففى مقاله بجريدة هاآرتس بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٩٧م، بعنوان «جيش الله» قام إيدان ميللر على سبيل المثال، بوصف وجهات نظر د. ريفين جال،

الذى عمل كرئيس للأطباء النفسيين بالجيش الإسرائيلى فيما بين ١٩٧٦ و١٩٨٢م وأصبح بعد ذلك مديراً لمعهد كارمل الشهير للبحوث العسكرية والاجتماعية، وقام د. جال، تبعًا لميللر، بتلخيص البيانات المتعلقة بالتطوع للخدمة فى الوحدات المقاتلة ابتداء من عام ١٩٩٤م، وحتى عام ١٩٩٦م وقارنها بالبيانات المقابلة لها فى عام ١٩٨٩م.

وأفاد تقرير د. جال أنه بينما كانت نسبة الشباب العلمانى الراغب فى الخدمة فى الوحدات المقاتلة تبلغ ٦٠٪ عام ١٩٨٩م، فإن هذه النسبة انخفضت فى الفترة من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦م إلى ٤٨٪. وحدث الجانب الأعظم من هذا الانخفاض فى الفترة من ١٩٩٥ إلى ١٩٩٦م، وكان الانخفاض أكبر ما يمكن فى مواقع الكيبوتسات العلمانية التى تحتوى على أغلبية من اليساريين. فكان الانخفاض من ٨٣٪ عام ١٩٨٩م إلى ٨٥٪ فى الفترة من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦م، وإذا قارنا ذلك بالشباب المتدين نجد أن نسبة من يرغبون فى التطوع فى الوحدات المقاتلة ظلت ثابتة عند ٨٠٪، أثناء نفس الفترة الزمنية. وفى الكيبوتسات المتدينة، تصل هذه النسبة إلى ٩٠٪، **وقبل اتفاق أوسلو كانت الغالبية العظمى من الشباب المتدين التى تدخل الجيش تعتبر أمر القائد أعلى من أى أمر من أى حاخام. ولكن تغير هذا بحلول عام ١٩٩٦م. فمن خلال الاستشهاد بملخص د. جال، كتب ميللر يقول: «بالنسبة لقطاع كبير من الشباب المتدين أصبح أمر الحاخام موازيًا وفى بعض الأحيان أعلى من أمر القائد».**

أدى نشر هذه النتائج إلى قلق الكثير من اليهود العلمانيين وحاولوا

الحصول على فرص لشبابهم للعمل فى مجالات شبيهة بتلك المتاحة للشباب المتدين، كما طالبوا بإقامة أكاديميات قبل عسكرية دينية . ومع ذلك، أثناء العامين الأولين من حكومة نتنياهو، حينما أصاب عملية أوسلو الركود، ازداد عدد الشباب العلمانيين الذين تطوعوا للخدمة فى الوحدات المقاتلة إلى مستوى غير مسبوق منذ السبعينيات. وأدى ذلك إلى التأثير بشكل سلبى على محاولات اليمين المسيانى لاختراق الجيش، ولأنه يشكل فقط من ٦ إلى ٧٪ من اليهود الإسرائيليين، اعتمد اليمين المسيانى المتدين على غياب الدافع لدى اليهود الآخرين للعمل فى الوحدات المقاتلة من أجل اختراق الجيش.

إبان انتخاب نتنياهو لرئاسة الوزراء فى عام ١٩٩٦م، كان هناك عاملان دفعا المزيد من اليهود الإسرائيليين للتطوع فى الوحدات المقاتلة. الأول هو تزايد مستوى العداء العربى تجاه إسرائيل وتجاه حكومتها المنتخبة كما قام بعض القادة العرب بالتهديد بالحرب. واعتبر معظم الشباب اليهودى الإسرائيلى كل ذلك ليس له ما يبرره واستجاب بالطريقة الإسرائيلية التقليدية، وهى الدفاع عن المزيد من التوجه العسكرى. أما العامل الثانى فقد نبع من إدراك أن حكومة نتنياهو عبارة عن ائتلاف جديد من الأقليات اليهودية، مما أدى على نحو لم يحدث من قبل فى تاريخ دولة إسرائيل إلى السماح لأولئك الذين استبعدوا فى السابق من الفرص والإنجازات الاجتماعية المهمة بأن يحققوا ما لم يحققوه من قبل. فللمرة الأولى فى التاريخ الإسرائيلى كان وزير الدفاع

ورئيس الأركان من اليهود الشرقيين، وقام أعضاء الصفوة القدامى المتعاطفين مع حزب العمل بمعارضة هذين التعيينين، وأدى هذا إلى تشجيع اليهود الإسرائيليين الشباب الذين ليس لهم أصول أشكنازية تناصر حزب العمل، إلى محاولة العمل كضباط فى الجيش، ومعظم هؤلاء وأمثالهم من الشباب صغار السن كانوا يؤمنون فى السابق بأنهم لن يسمح لهم أبدًا بأن يصبحوا ضباطًا عاملين فى الجيش، وبالنسبة للطبقة ذات الدخل المنخفض من اليهود الإسرائيليين فإن المجال العسكرى برواتبه المرتفعة نسبيًا، يعتبر منزلة مرتفعة، وكذلك له جاذبيته من الناحية الاقتصادية.

باستثناء خبراء الكمبيوتر والأطباء المتخصصين الآخرين ذوى التعليم العالى، فإن الحصول على وظيفة جيدة يتطلب العمل فى إحدى وحدات القتال.

ومن المفارقات الساخرة، أن انهيار عملية أوسلو البغيضة أثر على نحو سلبى على المستوطنين المتدينين فى محاولاتهم لاختراق الجيش الإسرائيلى من أجل ممارسة نفوذ قوى على السياسة الإسرائيلية.

وأثناء الجانب الأعظم من الفترة التى كانت تمضى فيها عملية أوسلو قدمًا فى ظل حكومتى رابين وبيريز، ازدادت فرص المستوطنين المتدينين فى اختراق الجيش، وتناقصت فرص المستوطنين المتدينين فى صياغة سياسات إسرائيلية معينة بعد صعود نتنياهو والليكود إلى السلطة فى عام

١٩٩٦م، وربما يقدم لنا هذا التطور مثالاً لما يئول إليه مصير التعصب فى بعض الأحيان: فالجماعة المتعصبة تنمو وتزدهر حينما تشعر أنها فى خطر أو مهددة بواسطة القطاعات الأخرى من المجتمع الذى تعيش فيه. والعكس صحيح، حينما تواجه بمجتمع أصبح متحداً تجاه ما يعتقد أنه خطر خارجى يهدده، فإنها تكون أقل قدرة على اختراق المؤسسات الكبرى مثل الجيش والتأثير على السياسة الطويلة المدى.

***